

وفي هذا المثال بديل موضوعي فني ، لم يفقد الشيخ فيه صلته بعالم الواقع ، فهو يتحرك ويفهم الأمور في حدود وعيه الخاص ، وفي إطار أبعاد شخصيته الجسمية والاجتماعية والنفسية .

فهل كانت كل الخطوط التي رسم شخصية الشيخ تحترم أبعاده المختلفة ؟

البعد العضوي أو الجسدي للشيخ مرسوم في وضوح ، والخطوط أو اللسات التي كونت هذا البعد أنه شيخ ذو جسد رقيق ، وقدمين نحيلتين نظيفتين ، وهينين عجوزين كليتين ، فوقها حاجبان أشيبان كثيفان ، إذا أراد النهوض - في ليلته تلك اللبلاء - اعتمد عصاه الطويلة الصلبة .

والبعد الاجتماعي للشيخ واضح كذلك ، فهو فلاح رقيق الحال ، يرى أنه قد صار فجأة من الأغنياء ، لأن أهل القرية أكثروا في داره اللحم والأرز والخبز والخضار المطبوخ ، وهو لم يحظ بقسط من التعلم ، وهو رجل كريم في حدود وجدته ، فليده مخرطة جديدة نظيفة ، يحتفظ بها للضيوف .

والمفروض أن تتكامل أبعاد الشخصية ، ويكون من آيات التكامل أن نرى البعد النفسي للشخصية ثمة - على نحو ما - للبعدين الجسدي والاجتماعي ، غير أن رسم المؤلف للبعد النفسي للشيخ ربما يشف عن ذات المؤلف نفسه في بعض المواضع أكثر مما يشف عن نفسية الشيخ . الأمر الذي يجعلنا قد نرى أن تسرب الذات في المعادل الموضوعي قد حدث بطريقة غير مشروعة في هذه المواضع ، لأننا فيها لا نرى للشيخ حياته الأدبية الخاصة به .

واقراً إذا شئت وصف الليل ، وقد تحول الفضاء إلى قبة هائلة من زيت كعربي غامق ، والنجوم شديدة التألّق ، قطع نادرة من الماس الباهر .. الحركة تجمدت ، الوجود منكش على نفسه كطفل يدس وجهه وأطرافه في حضن أمه النائمة ، هرباً من خوف مختبيء في الظلام ، فهذا الوصف الذي يسوقه المؤلف ... مفروض أنه يمثل رؤية البطل وأنسى لبطله أن يرتقي إلى هذا المستوى الراقى من الرؤية ، فيرى مثلاً الوجود منكشاً كطفل .